قصة أفيقيا الحكيمة وسليمان الحكيم

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعي

تمهيد

بين مخطوطات مكتبتنا الشرقيّة مجموعان الواحد عربيّ كُتب منذ نحو مئة سنة والآخر كرشوني يرتقي عهدهُ الى القرن السابع عشر مكتوب بخط جميل على ورق صفيق قد اهدانا اياه مؤخرًا في حلب حضرة القس حبيب نصاني السرياني الكاثوليكي . وفي كليهما قصّة غريبة لم نجدها في غيرهما ولا ذكر لها في مخطوطات المكاتب الشرقيّة الاوربيّة عنوانها « خبر افيقيا الحكيمة امرأة يشوع بن سيراخ وما تمّ لها مع سليمان الملك ابن داود النبي » يُروى فيها وصف مناقب افيقيا المذكورة ورغبة الملك سليمان في مناوضتها مؤملًا الاقتران بها الّا انّها بحكمتها ردّت عنها ذاك الملك يوم زارها في غيبة زوجها فزادت في عيّنهِ اعتبارًا . اما زوجها يشوع بن سيراخ فانّهُ عرف دخول الملك الى بيتهِ في غيبتهِ ياقوتة وقمت من تابيه فحفظ ذلك في نفسهِ وابتعد عن زوجتهِ غيرةً . فأصاب افيقيا لسبب ذلك مرضٌ كاد يُودي بحياتها لولا انّ أنّها عرفت بخبرها وبلّغت سليمان ما حلّ بها فبرّرها عند زوجها وأطرأ عفّتها

هذه خلاصة القصّة ولا شكّ انّها من الحكايات القديمة الجارية على ألسنة الشرقيين وعلى ظنّنا انّها من الروايات التي اشاعها اليهود ونسبوها الى الملك سليمان لِما يُخبر عنهُ من الميل الى النساء الحكيمات الشريفات لكنّنا لم نقف في كتبهم على ما يسند رأينا

وممّا استربناهُ في هذه الرواية اسم « افيقيا » الذي لم نجد لهُ شبيهًا في المعاجم . أهو اسم سامي او اسم يوناني فالله اعلم فان كان ساميًا فيرجع الى مادّة افق بمعنى خرج او كان يونانيًا فهو من (ἐπιεικία) بمعنى اللين والدعة والتساهل

كذلك لم نجد في ما لدينا من المطولات اسم قرينة ليشوع بن سيراخ وهو صاحب السفر الوارد في الاسفار المقدّسة الذي كان فُقد اصلهُ العبراني فوُجد منذ نحو ثلاثين سنة والفرنج يدعون كتابهُ باسم (l'Ecclesiastique)

واعجب من ذلك في هذه القصّة وقوعها في ايام سليمان وكلٌّ يعلم انّ سليمان الحكيم عاش في القرن العاشر قبل المسيح وابن سيراخ كان في القرن الرابع فبينهما نحو ٦٠٠ سنة فكيف امكنهُ ان يكون وزيرًا لسليمان . وقد سبق لنا في قصّة رحلتهِ إلى قصر عاد انّ وزيرهُ كان آصاف . فلعلّ الراوي خلط بين آصاف ويشوع بن سيراخ والله اعلم

وعلى كلّ حال انّ في نشر هذه الرواية لَفائدةً لدراسي الاقاصيص القديمة ومعرفة اصلها وتحوّلاتها بين الشعوب وهي في مخطوطنا الكرشوني من الصفحة ١٣١ الى ١٤٣

(١٣١) نبتدئ بعون الله تعالى ونكتب خبر افيقيا الحكيمة امرأة يشوع بن سيراخ وما تمّ لها مع سليمان الحكيم ابن داود النبيّ

قال انهُ كان هذا الحكيم الفيلسوف يشوع ابن سيراخ صاحب الكتاب المعروف باسمهِ وزير سليمان الملك الحكيم الاكبر وكان كاتم سرّهِ ومدبّر دولتهِ وعساكرهِ وكان حكيماً عفيفاً بارًّا تقيًّا

وكان لهُ امرأة اسمها افيقيا وكانت جميلة جدًّا واحسن من كلّ اهل زمانها وكانت حكيمةً عفيفةً طاهرةً بارّةً مدبّرة حازمة في جميع الامور وكانت متقية الله في كلّ احوالها خائفة الله ذات صدقة وصوم وصلاة ومحبّة للفقراء والمساكين والغرباء وتُكرم الضيف واليتيم والارملة. فشاع ذكرها في بني اسرائيل بالجود والاحسان والحكمة والحسن والجمال (١٣٢) والطهارة. فبلغ خبرها الى الملك سليمان ابن داود فاشتهى ان يبصرها ويتكلّم معها حتّى يعلم منتهى امرها. ووقع في قلبهِ منها موقع عظيم

فلمّا كان في بعض الأيام أرسل اليها من عندهِ ستلابيًّا(١ اعني خصيًّا طواشيًّا وكان مكرّماً عندهُ صاحب سرّهِ قائلًا لها: اني مشتاق الى لقائكِ والحديث معكِ. فمضى الخصيُّ الى افيقيا واعلمها بما قالهُ الملك. فلمّا سمعت ذلك القول من الرسول تألّم قلبها وتنهّدت وافتكرت ساعةً طويلة ثمّ قالت للرسول: قُلْ لسيّدي الملك انّ حكمتهُ قد ملأت العالم كلّهُ وفاقت على الشرق والغرب فكيف عرض لك سبيل الى هذا الفكر ان تُكلّم امرأةً حقيرة مثلي. ولكن أيها الملك الجليل ان كانت ارادتك بهذا الامر فلا يتمّ ذلك وزوجي يشوع في هذه المدينة لئلّا يعيّرهُ (١٣٣)

فلمّا اتى الرسول الى الملك وقصّ عليهِ جوابها اخذهُ العجب من كلامها واشتاق اليها اكثر. ثمّ انهُ احضر وزيرهُ يشوع وقال لهُ: انّ لنا حاجةً داعية عند ملك الروم ولم أرَ رجلًا يصلح للقائهِ مثلك فاني أريد ان تمضي الى قضاء حاجتنا. فقال لهُ يشوع: ليعشْ سيّدي الملك الى الابد كما تأمرني افعل

١) السقلابي او الصقلابي في الاصل رجل من الصقالبة (Slave) استعملهُ العرب للخصيّ لأنهم كانوا يتخذون الظئار الصقالبة عبيدًا ويخصونهم لخدمة حريمهم

فكتب لهُ سليمانُ كتباً وارسلهُ باكرام كما يليق لهُ وارسل معهُ جنداً وهدايا فسافر نحو الموصل . ثمَّ امر سليمان رسولهُ ان يعود الى افيقيا ويقول لها : ان مولاي مقبل اليكِ في هذه الليلة . فذهب السقلابي واعلم افيقيا بذلك . فقالت لهُ : قل لسيدي الملك ان كانت الجارية الحقيرة قد استحقَّت هذه الكرامة العظيمة حتَّى انَّ مولاها يأتي اليها (١٣٤) فانا اتضرَّع اليهِ ان لا يذوق شيئاً من الطعام الى ان يحضر ويأكل في منزل جاريتهِ

فمضى الرسول واعلم الملك بذلك . فدعت افيقيا طبَّاخها وقالت لهُ : أحضر جميع ما يُحتاج اليهِ من اللحوم والاسماك والغنم والخراف والدجاج واطبخ بهم اربعين لوناً بطعم واحد مع اختلاف الوانها . ففعل كما امرتهُ مولاتهُ . فلمَّا حان وقت مجيء الملك بسطت لهُ قيطون (١ يشوع زوجها حسب كرامة الملوك

فلمَّا كان الليل اتى سليمان الملك الى عندها فخرجت للقائهِ بالشموع والبخور كما يليق لكرامتهِ وأدخلتهُ الى المقصورة التي هيَّأتها لهُ . فلمَّا دخل سليمان الملك تعجَّب ممَّا رأى من الكرامة التي أعدَّتها . فصعد وجلس على السرير فاوقدت الشموع واطلقت النَّدَ (١٣٥) والعود والبخور الفائق حتَّى أضحى المكان كأنَّهُ رُقعة من الفردوس . فتعجَّب سليمان ممَّا رأى . ثمَّ تقدَّمت افيقيا وجواريها وسجدن لهُ وبسطن المائدة اللائقة لخدمتهِ وخرجنَ الى الخارج واغلقنَ الباب

فأمر سليمان لافيقيا ان تصعد وتجلس على المائدة . فصعدت وقبَّلت يدهُ وجلست مقابلهُ واخذت تمزج لهُ المُدام وتسقيهِ . فنظر سليمان الملك الى المائدة وكثرة الالوان وانواع اللحوم والاسماك المختلفة والاطعمة اللوَّنة فاعجبهُ ذلك . ومدَّ يدهُ ليأكل بشهوةٍ من تلك المآكل . فصار يأكل ويتفرَّس في انواعها ويتعجَّب من كثرة اشكالها وكلُّها مع ذلك بطعم واحد فاكل وشبع ورفع يدهُ . ثمَّ قدَّموا لهُ الواناً اخرى غير الاولى فصار يذوق منها فقط وهي مع اختلاف اشكالها ايضاً بطعم واحد (١٣٦) فعلم يقيناً ان هذا الامر حكمةٌ من افيقيا

حينئذٍ شكر الله تعالى وقال : نُعماكَ مقبولة أيُّها الربّ اله اسرائيل . والتفت

---

١) القيطون المخدع وغرفة النوم من اليونانيَّة (Κοιτών)

الى افيقيا وقال لها : اريد ان تعلميني ما هو الرمز الذي رمزتِ اليهِ بهذه الاطعمة ؟

فسجدت افيقيا قدّامهُ للوقت وقالت : يا مولاي كنتَ حكمتُك التي يشهد لها العالم كلُّهُ . فما شأن السراج الموقد امام الشمس ؟ وما هي قوّة الأمة تتكلّم قدّام السيّد الملك ؟ وما هي الضيفة الحقيرة المسكينة التي تتحرّك اليوم نفسُها من الله وتستر نَتْنَها وزفراتها وفي الغد تُطرح في قبر مظلم فتصبح جيفةً عاريةً ملقاةً بعيداً من البشر لا يطيق احدٌ من الناس ان يدنو اليها من نَتْنها وراحتها الكريهة . لكنْ نفسها من الله (١٣٧) لا تموت

فلمّا سمع سليمان هذا الكلام من افيقيا تعجّب من حكمتها ومعرفتها وعلم انّها قالت هذا الكلام حتى تصدَّهُ عن نفسها لئلّا يرغب فيها وعلم انّها فعلت هذا لاجل عفّتها وطهارتها . فقال لها : قد صدق الذين مدحوكِ واشادوا بفضلك حقًّا انّكِ ملأتِ العالم من الحكمة

قال هذا ونهض وهو متعجّب ممّا سمع منها وعاد راجعاً الى منزلهِ . فلمّا خرج من باب المقصورة طرق تاجهُ بين أسكفَّتَي الباب من فوق فسقطت منهُ ياقوتةٌ وعلقت بذلك المكان بين الاسكفَّتين . ومضى سليمان الى قصرهِ ممجّداً الله وهو متعجب ممّا شاهدهُ من افيقيا وزادت ثقته بزوجها يشوع

ولمّا كان بعد أيام عاد يشوع من سفرهِ واتى الى عند الملك سليمان وقدّم لهُ الهدايا والمال من ملك الروصل (١٣٨) فاكرمهُ سليمان غاية الاكرام وصرفهُ الى منزلهِ برقار عظيم .

فدخل يشوع الى قيطونهِ وجلس فاتت افيقيا وقبّلت يدهُ وفرحتْ بهِ وغسّلت اقدامهُ وقدّمت لهُ المائدة فأكل وشرب واستراح . وفيما هو كذلك لاحت منهُ التفاتة نحو الباب فنظر الياقوتة تلمع بين اسكفَّتي الباب فنهض واخذها وتأمّلها فعرف انّها من تاج سيّدهِ سليمان الملك وعلم انهُ دخل الى منزلهِ

فحزن بقلبهِ حزناً عظيماً ولم يتكلّم بنا جال في فكرهِ ابداً ولكنّهُ لم يعد يرقد في الفراش مع زوجتهِ افيقيا بل كان يرقد وحدهُ ولم يسألها عن شيءٍ البتّة وهي ايضاً لم تخاطبهُ عن ذلك .

فمضى على هذه الحال سنتان فتغيّر لون افيقيا ونحف جسمُها وضعفت جدًّا وهي

لم تتكلّم عن سبب حزنها . فلمّا كان بعض الأيام (١٣٩) نظرت أُمها الى بدنها وقد نحلَ فقالت لها : يا ابنتي العزيزة ما هذه الحال التي انتِ فيها وما هو وجهكِ لاني اراكِ قد ضعفتِ جدًّا . فامسكتها افيقيا بيدها واخذتها الى مكانٍ خالٍ واخبرتها بجميع ما جرى لها من اوّله الى اخرهِ وأنها حزينة القلب كاسفة البال من اجل زوجها يشوع

فعند ذلك نهضت أُمها ومضت الى سليمان الملك وكانت كرمةٌ عندهُ فدخلت اليهِ وحدهُ وقبّلت يدهُ فرحّب بها واكرمها . وقال لها : ما هو الداعي لدخولك الينا اليوم ؟ فقالت لهُ : لي حاجة اليك أيها الملك فلي الرجاء انك تقضيها لي . قال سليمان : حبًّا وكرامةً وما هي حاجتكِ . فقالت لهُ : ليعِشْ سيّدي الملك الى الابد . كان لي كرمٌ لطيف عزيز عليّ فسلّمتهُ الى كرّام يفلحهُ وكنتُ اتسلّى بالله اوّلًا (١٤٠) ثم بهذا الكرم . فكث الكرّام يقاسني ثم الكرم فوثقتُ بهِ انهُ لا يُضيع كرمي . وها قد مرَّ عليهِ سنتان وهو لم يفتقدهُ فخيت اليوم لأنظرهُ فوجدتهُ قد خرب وتلف وبقي بورًا فارغًا . وها انا استجير بك يا سيّدي لتحكم بيني وبين هذا الكرّام الذي أفسد عليّ كرمي العزيز

فقال لها سليمان الملك : وما الذي دهاكِ حتى تهاونتِ بافتقاد الكرم الى الآن . ولماذا لم تفتقديهِ قبل اليوم . قالت لهُ : يا سيّدي امتنعتُ عن ذلك لعلمي انَّ الكرّام رجلٌ امين تقيّ فلم اشأ ان ازعجهُ

وكان سليمان قد ادرك معنى كلامها فارسل لساعته واحضر وزيرهُ يشوع الى امامهِ . فلمّا دخل وجد حماتهُ جالسةً عند الملك سليمان فاجلسهُ بجانبهِ وقال لهُ : يا عزيزي وابني الحكيم كيف (١٤١) تترك لهذه المرأة حجّةً عليك مع كثرة عقلك ومعرفتك . ثمَّ التفت الى حماة يشوع وقال لها ان تُعيد كلامها قدّام وزيرهِ فسكتت ولم تنبُ بكلمةٍ واحدة

فقال سليمان ليشوع : ماذا تقول انت في غلّة هذه المرأة وكرمها . فعلم يشوع ما الذي كان منها وما الذي قالت للملك فقال : نعم يا سيّدي كلُّ ما قالتهُ هذه المرأة هو حقٌّ وصدقٌ . غير اني أيها السيد العزيز لم أُقصّر ولم اتهاون في امر هذا الكرم بكل جميل وكلّ حُسنى الى اليوم الذي ارسلني سيّدي الملك الى ملك الموصل . فلمّا

كان آن رجوعي اتيتُ لأفتقد الكرم اذ رأيتُ فيهِ آثار اسدٍ عظيم من داخل الباب فارتعدت فرائصي وفزعتُ فرجعتُ الى ورائي خوفاً من الاسد لئلا يهلكني فمن ذلك اليوم ما بقيتُ اجسر (١٤٢) ان ادخل الى الكرم غير اني لم أتهاون في كرامته كما يليق لهُ

فلمَّا سمع سليمان ما اتى بهِ يشوع من الخطاب علم انهُ رأى شيئاً من آثاره وانهُ لم يدخل هناك غيرهُ فالتفت اليهِ وقال له : بحقٍ تكلَّمتَ يا ابن سيراخ انَّ الاسد دخل الى الكرم ولكن اسمع حتى اكلمك يا يشوع . حيٌّ هو الربّ اله اسرائيل اله ابرهيم واسحاق ويعقوب وموسى وهارون الرب العظيم وحدهُ الذي لا اله غيرهُ الذي يعلم الضمائر والاسرار المطلع علينا هو الآن العالم بما كان وما يكون السامع بما أقسمُ بهِ انَّ الاسد ما قصد ولم يكن منهُ شيءٌ قبيح سوى كلامٍ منظَّم بالحكمة وربحٍ لنفس سامعيه . فالآن يا ابني قم بفرح عظيم وقلب نقيّ وسرور كامل وادخل الى كرمك (١٤٣) ووقِّرهُ كما يليق لكرامتهِ لأنَّ كرامتهُ عظيمة عند الله والناس قدَّام الربّ الصباؤوت

فقام يشوع للوقت وقبَّل يد سليمان الملك واخذ حمارهُ ومضى الى بيتهِ وهو فرحان ودخل الى عند امرأتهِ . فأتت وقبَّلت يده فامرها ان تجلس بجانبهِ فجلست واخبرتهُ بالحكاية كلها من اوَّلها الى آخرها . فشكر الله تعالى الذي حرس نفس خائفيهِ الذي لهُ العظمة والوقار الى ابد الابدين ودهر الداهرين امين

تمَّت قصَّة افيقيا زوجة يشوع بن سيراخ والحمد لله دائماً وحدهُ امين

المذهب الدروييني واصل الانسان

لحضرة الاب اسكندر طوران اليسوعيّ (تتمَّة)

الجواب على بعض اعتراضات الدرويينيين

أولاً انتساب بين الانواع القريبة

﴿ اعتراض اوَّل ﴾ يقول الدرويينيُّون أنَّنا اذا نظمنا انواع الحيوانات الحاضرة